

## «جمهورية» الإخوان المسلمين: الثورة في مواجهة الصناديق

خالد العزي \*

سنة عقود من الزمان، عاشتها مصر بتاريخها الحديث طوال النصف الأول من القرن العشرين والعشرية الأولى من الألفية الثالثة، بدأت تلك الحقبة بثورة وانتهت بثورتين. ومابين التاريخين تشكل تاريخ مصر المعاصر ما بعد الاستقلال عن الاحتلال البريطاني، سياسيا واقتصاديا، واجتماعيا، وثقافيا. خمسة رؤساء تعاقبوا على حكم مصر خلال تلك الفترة، انتهى المقام بأولهم بإقصائه عن الحكم (محمد نجيب) وآخرهم في السجن ليأتي الجيش بمحمد مرسي لفترة انتقالية لتأمين انتخابات تأتي برئيس جديد لمصر، في حين انتهت حياة ثالثهم بالقتل اغتيالا، أما الثاني فمات من دون أن تكشف حقيقة موته حتى الآن هل مات مريضا أو مسموما. أما الرابع والخامس لا يزالان في السجن ويمثلان أمام القضاء بقضايا فساد وتحريض على قتل المتظاهرين. لقد اتسعت الفجوة في عهد مبارك بين الشعب والطبقة الحاكمة التي تدير البلاد وتتحكم بأمر الناس. مما ساهم في ازدياد الفساد واتساع الهوة بين الشرائح الاجتماعية أدى إلى اضمحلال ثقافة المواطنة ومنظومة القيم المجتمعة باتجاه الهشاشة، مما ساهم بانتشار الرشوة والفساد والمحسوبية، وانتعاش الفكر السياسي المتمسك الذي تغيب من مفاهيمه فكرة الدولة الوطنية لحساب الأمة الإسلامية كون الإسلام دين ودولة وهو الحل مما ساهم بإستقطاب الطبقات الفقيرة. بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ فتحت شهية الإخوان للحكم مستنسخين تجارب حكم الحزب الواحد. في دراستنا هذه نحاول الوقوف أمام النقاط الهامة في تطور الأزمة المصرية:

### فشل الإسلام السياسي في مصر:

قد ينطبق الحال في تصور المفكر فرنسيس فوكوياما في كتابه الجديد بداية التاريخ ونشأة الديمقراطية<sup>(١)</sup>، على مصر، في ضوء التحولات السياسية فيها والذي يدرس عوامل التحول السياسي عبر التاريخ، وتشكل المؤسسات السياسية الأساسية، أي الدولة وسلطة القانون والحكم المسؤول منذ العصور الأولى حتى نهاية القرن الثامن عشر.

(\*) باحث وكاتب صحافي مختص بالشؤون الدولية.  
Dr\_izzi2007@hotmail.com

(١) فرنسيس فوكوياما، : بداية التاريخ، منذ أصول السياسة حتى اليوم، منشورات سان سيمون، باريس ٢٠١٢ ص ١٨.

مصر تدفع الثمن بسبب حكم الإخوان والتعنت التي مارسته وتمارسه من خلال التمسك بالسلطة التي كان يمكن أن يديروها بالمشاركة مع آخرين لكنهم فضلوا الفوضى في الساحات وطرح شعارات غير ممكنة التطبيق. فالتصور الإسلامي أو بشكل أدق القوى الإسلامية السياسية التي وصلت إلى السلطة في الدول العربية بعد الربيع العربي هو نقيض للديموقراطية والقانون. فالشارع المصري في تظاهراته المليونية في ٣٠ يونيو ٢٠١٣ رفع البطاقة الحمراء بوجه الرئيس محمد مرسي بعد تذرع الأخير مع فريقه طوال الفترة الماضية بأنه الأمين على الشرعية الدستورية التي أوصلته إلى سدة الرئاسة، لكن الشعب اجبر الجيش على عزل الرئيس من خلال حركته الاعتراضية.

فالإيديولوجية السياسية الإسلامية التي تمارس الحكم والسيطرة على السلطة من خلال السطو والترويح الإعلامي تبرهن لنا على عدم قدرتهم على تكوين إيديولوجيا حقيقية للدولة المدنية التي تكون فيها العلاقات بين الحاكمين والمحكومين أكثر توازنا<sup>(٢)</sup>، وتكون فيها سلطة الجميع محددة بدقة وصحيحة وسلمية وواقعية وتعاقدية دون حرمان أحد، أو كبتة ودون هيمنة طرف على طرف آخر وتكون هذه الدولة ومؤسساتها قائمة على التآلف والانسجام والسلام والاجتماعي وروح المشاركة والمساواة السياسية والمساواة بين الجنسين مع احترام الخصوصية الازالية لكل منهما والتقييد بتعاليم القرآن.

لقد فشل الإخوان فشلا ذريعا في إدارة البلاد لذا تفاقمت الأزمة في مصر بين مؤسسة الرئاسة والمعارضة والشعب بسبب الأفكار والمشاريع المسدودة والافتق وتعارض التوجهات بين الفرقاء، مما ساهم بشكل سريع باندلاع مظاهرات ٣٠ يونيو التي أضحت نقطة فاصلة وتحول فعلي في الحياة السياسية في مصر<sup>(٣)</sup>.

لقد فاجأت المظاهرات والحشود الجماهيرية التي اجتاحت مدن وشوارع مصر المحروسة الجميع في الداخل والخارج وحركة الإخوان نفسها، مما اجبر العديد من القوى والشخصيات بالوقوف إلى جانب الشعب المحتج والتأثر وهذا ما دفع أيضا مؤسسة الجيش للوقوف إلى جانب الشعب وعدم السماح بالدخول في حرب أهلية.

### التهويل بالحرب الأهلية

بالرغم من الأصوات المنذرة بقدوم حرب أهلية من الخارج والداخل والذي كان في طليعتها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين<sup>(٤)</sup> المحذر من مخاطر الانزلاق إلى أتون الحرب الأهلية، والغرب كله كان يحاول الترويج للحرب الداخلية في مصر، فالفوضى تصب في خدمة الإخوان في محاولتهم لفرض معادلة أما الإخوان أو الفوضى، لكن الجيش منذ ٣٠ يونيو أعلن بأنه لن يسمح بنشوب حرب أهلية وانه لن يسمح بتنفيذ أي سيناريو نحو إدخال البلاد في المستنقع البشع، وسوف يقوم بحماية امن المواطنين وممتلكاتهم

(٢) محمد أركون، "من فيصل التفرقة إلى فصل المقالة" أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، دار الساقية بيروت الطبعة الثانية ١٩٩٥، ص ١٣١ - ١٣٢.

(٣) دخالد ممدوح العزبي، حركة الإخوان المسلمين في مصر تجربة فاشلة، جريدة المستقبل ٩ تموز ٢٠١٣.

(٤) دخالد ممدوح العزبي، الإسلام السياسي في إستراتيجية روسيا الاتحادية، جريدة المستقبل اللبنانية ٦ اب ٢٠١٣.

وممتلكات الدولة ولن يتهاون مع الإرهاب وسوف يرد بقوة عليه. لقد تبدى للبعض في تحليلاتهم بان فض الاعتصامات في ١٤ آب/أغسطس بالقوة وإعلان حالة الطوارئ يمهد لحرب أهلية، لان هذه الإجراءات غير مدروسة وغير منطقية، ولكن حسب الخبراء العاملين في الدراسات الإستراتيجية والعلاقات الخارجية يصرون على أن هذه الأحداث التي تشهدها مصر حالياً لن تلقي البلاد في براثن الحرب الأهلية وان هذا السيناريو لن يمتد إلى حرب أهلية كما حدث في الدول المجاورة بالرغم من أن المشهد السياسي قد فرض حالة من الانتقال من جانب الإخوان، وقد ترجم الغضب بحرق الكنائس ومواجهة الشرطة والجيش والهجوم على مقرات عامة ومحاولة اقتحام سجون والاعتداء على مدنيين وهذه الحالة تسمى ثأر الإخوان من الآخر ومن الدولة فالتاريخ والعادات المصرية قادرة على مواجهه في أوقات المحن والكوارث ومصر تستطيع الخروج من أزمتها وان تضمد جراحها وتعود إلى حياتها الطبيعية من جديد.

### المعارضة الثورية في مصر<sup>(٥)</sup>

- حركة تمرد أو "حملة تمرد": هي حركة معارضة مصرية دعت لسحب الثقة من الرئيس محمد مرسي ومطالبته بالاعلان عن انتخابات مبكرة انطلقت الحملة بتاريخ ٢٦ نيسان/أبريل ٢٠١٣ من ميدان التحرير في القاهرة.

- جبهة الإنقاذ الوطني: هي كتلة سياسي تشكل في ٢٢ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٢، بعد الإعلان الدستوري الذي أصدره الرئيس المصري محمد مرسي، تتشكل الجبهة من ٣٥ حزباً سياسياً وحركة سياسية وثورية وجميعها ذات أيديولوجيات ليبرالية ويسارية. المصريون الأحرار، جبهة الإنقاذ هي الواجهة الحقيقية للمعارضة بمصر.

- حركة شباب ٦ أبريل: هي حركة سياسية مصرية معارضة ظهرت سنة ٢٠٠٨، أنشأها بعض الشباب المصري. ظهرت على الساحة السياسية عقب الإضراب العام الذي شهدته مصر في ٦ أبريل/نيسان ٢٠٠٨ بدعوة من عمال المحلة الكبرى وتضامن القوى السياسية فتبناها الشباب وبدأوا في الدعوة إلى اضراب عام لشعب مصر. حركة إخوان بلا عنف، القضاء المصري شخصيات مصرية إعلامية وسياسية واقتصادية ودينية مستقلة، قوى المجتمع المدني.

لقد استطاعت حركة شباب تمرد تشكيل جبهة شعبية واسعة من خلال حملة توقيعات مدنية وصلت إلى ٢٢ مليون مواطن حسب العرائض واللوائح وتجميع هذه الكتلة البشرية الهائلة في: ساحة الميدان في القاهرة وساحة قصر الاتحادية، وميدان سيدي جابر، في الاسكندرية، بالرغم من محاولة القوى الإسلامية والمؤيدة للرئيس من تجميع مظاهرات في ميدان "رابعة العدوية"، وبالتالي الإستراتيجية الإخوانية كانت ذاهبة إلى محاولة فرض نوع

(٥) علي خليفة الكوراي، وعاطف السعداوي، مفهوم الأحزاب الديمقراطية وواقع الاحزاب في البلدان العربية، المجلة العربية للعلوم السياسية، بيروت، العدد ٣٤ ربيع ٢٠١٢، ص، ١٦٥ - ١٨٢.

من حرب ساحات بين القوى لكي تسيطر على المشهد العام وان الرئيس يستطيع ان يضبط الساحات كما تنص الديمقراطية التي تؤمن بحق التعبير والاعتراض والتظاهرات.

## حرب الساحات

حرب الساحات والحشود المضادة لعبة من القوى السياسية تعني:

- ١ - تقويض الديمقراطية من خلال الدخول بعملية الحسابات والأعداد لكل فصيل.
  - ٢ - الساحات تعني الاحتكاك والصدامات وبالتالي هو المطلوب بالنسبة للإخوان.
- الحركة الإخوانية التي أخذت من الساحات نقطة تجمع لأنصارها وانطلاق كانت تهدف بالدرجة الأولى إلى خلق صدام بينها وبين القوى الأخرى ومؤسسات الدولة وعلى رأسها الجيش الذي أضحت حركة الإخوان عدوه الأساسي بنظر الإخوان، فكل الخطابات الإخوانية بدأت تصور الجيش هو العدو لأن الجيش أقصاها عن الحكم<sup>(٦)</sup>.

## حركة الإخوان المسلمين في مصر

نشأت جماعة الإخوان المسلمين في الإسماعيلية برئاسة الشيخ حسن البنا عام ١٩٢٨م كجمعية دينية تهدف إلى التمسك بالدين وأخلاقياته، كما أبرزت الجماعة مفهوم الأمة الإسلامية كبديل للقوميتين العربية والمصرية.

وفي عام ١٩٣٢م انتقل نشاط الجماعة إلى القاهرة ولم يبدأ نشاط الجماعة السياسي إلا في عام ١٩٣٨م. حيث عرضت الجماعة حلا إسلاميا لكافة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي تعاني منها البلاد في ذلك الوقت واتفقت مع مصر الفتاة على رفض الدستور والنظام النيابي على أساس أن دستور الأمة هو القرآن.

وحددت الجماعة أهدافها السياسية في الأتي:

- أن يتحرر العالم الإسلامي من كل سلطان أجنبي وذلك حق طبيعي لا ينكره إلا ظالم جائر ومستبد قاهر.

- أن تقوم في هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة تعمل بأحكام الإسلام وتطبق نظامه الاجتماعي وتعلن دعوته الحكيمة للناس.

تدعو الحركة لتحكيم شرع الله، والعيش في ظلال الإسلام، وهي جزء من تيار الإخوان المسلمين العالمي والفرع المؤسس لها.

لقد عملت حركة الإخوان لتحويل المشهد كي تظهر للعالم بأنها حرب ساحات بين قوى معارضة وموالية للرئاسة. وبالتالي كانت حركة الإخوان تضع شعارا منذ سقوط حكم الرئيس مبارك "نحن أو لا احد"، وما التصعيد والصدام الا رد من حركة الإخوان التي استمرت في الميادين طوال فترة شهر رمضان تحت شعار التمسك بالشرعية الدستورية

(٦) عريب الرنتاوي مصر ... حتى لا تختلط الأجنداث والتحالفات، جريدة الدستور الاردنية، ١٤ يوليو/تموز، ٢٠١٣.

وعودة الرئيس المعزول ولا يهتم عدد الضحايا الذين سقطوا أو سيسقطون من أجل إرسال رسالة للعالم الخارجي وليس الداخلي بأن مصالحهم تؤمن بعودة الإخوان إلى السلطة<sup>(٧)</sup>.

### المشهد الإعلامي

عمل الإخوان على إظهار صورة إعلامية بأن الجيش يقتل المتظاهرين من خلال افتعال مشاكل مع الجيش وبالتالي ضرورة استنهاض الرأي العام وإدخال مصر في حالة من الفوضى، وإفراغ مؤسسات الحكم من خلال صراعهم مع المجتمع المصري ككل. إن وقوع الإخوان أسرى التعنت والتعجرف والتفرد بالسلطة وإقصاء الآخر وعدم الاهتمام بالمطالب الشعبية الملحة دفع بالجيش لأخذ زمام المبادرة. تم عزل الرئيس مرسي بعد ٤٨ ساعة من إنذاره الأول. الرئيس محمد مرسي انتخب رئيساً لمصر بتاريخ ٣٠ يوليو ٢٠١٢ بعد ثورة الشعب المصري الذي اسقط من خلالها نظام حسني مبارك في ٢٥ يناير ٢٠١١، من خلال انتخابات شرعية ديموقراطية كان الجيش حامياً لها في تجربة تعد الأولى في مصر بانتخاب رئيس مدني. لكن المشكلة هي وضع الشعب المصري أمام خيارين الرئيس محمد مرسي والمرشح شفيق فاختر الشعب الرئيس مرسي بفارق قليل والتي بلغت نسبتها ٥٢ في المئة من نسبة المقترعين. لقد ارتكب مرسي والفريق الرئاسي العديد من الأخطاء الداخلية والخارجية التي دفعت بالجماهير المصرية للخروج والمطالبة بإسقاطه، لقد وحد جميع أعدائه في جبهة ضده إضافة إلى الأخطاء الخارجية المميتة التي ارتكبتها بحق مصر وأمنها القومي. فإذا كانت الأخطاء الداخلية تدل على عدم تجربة لرجال حركة الإخوان في ممارسة السلطة والقيادة تبقى الأمور متعلقة بالشعب المصري الذي هو من يحاسب ويحتج مما دفعه للخروج بمظاهرات مليونية في ٣٠ يونيو ٢٠١٣. لكن السياسة الخارجية للإخوان لا بد من الوقوف أمام أخطائها التي ارتكبت بحق مصر وشعبها والعرب بشكل عام، لأن مصر هي العامود الفقري للعرب وهي القوة الإقليمية التي تنافس أي مشروع يحاول التسلط على المنطقة العربية<sup>(٨)</sup>.

لقد ذهب الرئيس مرسي بعيداً في تغريده محاولاً إنشاء نظام خاص مبتعداً عن الدور والتنسيق العربي من خلال إقامة مشروع مصري مرتبط مع شبكة الإخوان العالمية والوقوف كمحور من المحاور الشرق الأوسطية.

دخلت حركة الإخوان في صراع مع العرب وتحديداً مع دول الخليج وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية، التي تشكل أكبر حاضنة لليد العاملة المصرية مع بقية الدول. حاولت الحركة تنشيط العلاقات والتحالف مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية باعتبارها دولتين دينيتين يمكنهم التأثير في المنطقة وتسوغيهما لنشوء دول دينية في عموم المنطقة<sup>(٩)</sup>. مشكلة المياه مع أثيوبيا وبناء سد النهضة، وغياب الرؤية الواضحة لحكومتهم في تقديم

(٧) سعد الدين العثماني، الدين والسياسة فصل لا تميز، مجلة الفكر التقدمي ببيروت، العدد ١٦ تموز ٢٠١٢، ص ٩٨ - ١٠٧.

(٨) طارق الحميد سيبي مصر لا أتاتورك تركيا، جريدة الشرق الأوسط اللندنية، ٣ يوليو ٢٠١٣ العدد ١٢٦٣٦

(٩) د. عبد الإله بلقزيز، فقر الإسلاميين إلى ثقافة، جريدة المستقبل اللبنانية، ٢٧ آب ٢٠١٣.

أي تصور لحل الإشكالية بالرغم من أن رئيس وزرائها هشام قنديل، كان وزيرا للري العام. مشكلة الغاز المفتعلة وقطعه عن المملكة الأردنية وإبقاؤه يتدفق على إسرائيل؛ وأيضا غياب الرؤية الواضحة طوال فترة حكم الإخوان من الثورة السورية، سوى قرار قطع العلاقات من الرئيس نفسه كورقة داخلية بعيدة عن التنسيق دعما للحركات الإسلامية ولاسيما حركة الإخوان المسلمين السورية. مشكلة سينا وتفشي الإرهاب فيها بسبب اعتماده على قوى سلفية داعمة له. غياب التنسيق العربي وخاصة بظل التغييرات التي فرضتها ثورة مصر على العالم العربي.

### سر الاحتضان الغربي للإخوان في مصر

إن الحوار الدائم بين الغرب وأميركا مع جماعة الإخوان ثابتة غريبة لكونهم يصرون جميعهم على إبقاء التفاوض مع الحركة السياسية وإبقاء عملها ومشاكلها في الدول العربية والإسلامية كي لا تصدر نفسها إلى الخارج لأن العالم يعرف بأن أحزاب التطرف الإسلامي ولدت جميعها من رحم الإخوان المصرية وأخواتها من خلال هذا الاهتمام والوساطة الدولية<sup>(١٠)</sup>. فالموقف الأميركي غير المفهوم والتي تحاول الولايات المتحدة تصليحه ببطء من خلال مبعوثيها الذين يحدثون "شوشرة" من خلال الازدواجية السياسية في التعامل مع السياسية المصرية وتبنيها للموقف الإخواني<sup>(١١)</sup>. تعاطت الإدارة الأميركية مع التطورات العاصفة في القاهرة، وهي لم تر ضرراً في بقاء الرئيس مرسي ونظامه، طالما أنه لم يكسر الخطوط الحمراء، وهددت باتخاذ إجراءات عقابية رداً على عزله بحجة الالتزام بالقوانين الأميركية<sup>(١٢)</sup>، التي تمنع تقديم أي نوع من المساعدات أو الحماية لمن ينقلب على نظام ديموقراطي منتخب. لكن السؤال الذي يطرح نفسه على المحللين السياسيين ما هو سر التمسك الأميركي بالإخوان؟ هل كما قال الرئيس المعزول للفريق السيسي بأن: "الأميركان لن يتركوكم"، فهل نحن أمام فضيحة أميركية متعلقة بسينا مع الإخوان أقوى من فضيحة إيران غيت...؟

### الموقف الإيراني من الثورة الثانية

أثبت نظام الجمهورية الإسلامية منذ نشأته بالرغم من خطابه الثوري وتوجهه الإسلامي انه براغماتي بدرجة كبيرة كلما دعت المصلحة واقتضت الضرورة وفي هذا يكاد لا يختلف على الإطلاق عن غيره من الأنظمة في العالم عندما يصطدم بجدار واقع السياسة وضرورة البقاء فهو يقيم واقع السياسة على أساس الواقعية. لكن إيران تواجه معضلة فيما يتعلق بالموقف النهائي من مصر. وقد تراوحت تصريحات بعض مسؤوليها بين الوضوح والغموض ولم تخف معارضتها الإطاحة بالرئيس محمد مرسي، فالناطق

(١٠) طارق الحميد،

الإخوان يطالبون بالتدخل

الأميركي، جريدة الشرق

الأوسط اللندنية، ٨ يوليو

٢٠١٣ العدد ١٢٦٤١

(١١) عريب الرنتاوي، سرّ

الاحتضان الغربي

للإخوان، جريدة الدستور

الأردنية، ٣١ يوليو /

يوليه/تموز، ٢٠١٣.

(١٢) طارق الحميد مصر..

الإسلام السياسي

والارتقاء بأحضان

الغرب، جريدة الشرق

الأوسط اللندنية ٩ يوليو

٢٠١٣ العدد ١٢٦٤٢

الرسمي لوزارة الخارجية قال "بأن تدخل القوات المسلحة في المشهد السياسي أمر غير مقبول ولا يجب الاطاحة برئيس منتخب ديمقراطيا وهذا ما رفضته الخارجية المصرية معتبرة ذلك تدخلا في شؤونها الداخلية. وبالرغم من كل التصريحات يمكن القول بان الموقف الإيراني حيال الثورة الثانية لا زال مرتبكا وإلى اليوم لم نر وضوحا فيه بل اقتضى الأمر من مرشد الجمهورية السيد علي الخامنئي في خطابه في عيد الفطر على التحذير من انزلاق مصر إلى حرب أهلية محذرا من مجازر قد ترتكب بحق الشعب المصري، ورفض استخدام القوة من المجموعات غير الشعبية، ورفض التدخل الأجنبي". إيران تتحرك بحذر في المرحلة الحالية، فهي تدرك ان استفزاز النظام الجديد واستعدائه لن يصب في مصالحها ويعقد علاقتها أكثر مع السعودية والإمارات اللتين أعلنتا دعمهما للجيش والإدارة الجديدة في مصر.

إيران إذا تتبع سياسة الانتظار والترقب ويتوقع أن يتبلور موقفها أكثر وضوحا في الفترة المقبلة حيث يتضح المشهد السياسي في مصر، فهي لا تريد ان تدمر الجسور من حولها. وتسعى إلى الإبقاء على كل الخيارات والتعامل مع الأزمة السياسية وفق مصالحها المتعددة.

### الديموقراطية والإخوان: صراع الأضداد

تقوم الديموقراطية<sup>(١٣)</sup> أساساً على مبدأ سيادة الأمة، بمعنى أن الشعب يشكل في مجموعه كياناً معنوياً مستقلاً عن الأفراد، يمارس السلطات بنفسه، أو عن طريق ممثليه، فيحدد من يحوز السلطة، ومن له الحق في ممارستها، ولا معقب عليه في ذلك؛ لأنه صاحب السيادة. والسيادة التي هي أساس المبدأ الديموقراطي هي سلطة عليا أمره أصيلة، لا نظير لها، ولا معقب عليها، لها مظهران: مظهر خارجي: يتناول سيادة الدولة في تنظيم علاقتها بالدول الأخرى، دون توجيه أو تأثير من أحد؛ ومظهر داخلي، يتناول تنظيم الدولة للأمر الداخلي فيها بأوامر وقرارات ملزمة للأفراد في الدولة، فالسيادة بهذا المعنى سلطة أمر عليا. إن الشروط النفسية - العصبية التي تتحكم بممارسة كل فكر وتفكير بالإضافة إلى ضغوط الانتخابات، والخوف والانتقاء التي مارسها فئات اجتماعية متغيرة تفسر لنا حصول التشنج والتصلب، إما في اتجاه المعنى المنطقي التظاهري أي النزعة الاستقلالية، النزعة المنطقية المركزية، النزعة الحرفية، وإما في اتجاه المعنى الأسطوري، الباطني فن السرد والمجاز والترميز والأسطورة. فالإخوان المسلمون المصريون الذين وصلوا إلى السلطة من خلال الديموقراطية الانتخابية وأنفسهم قد اخلوا في تنفيذ بنودها وشروطها. فالديموقراطية هي تطبيق وممارسة وليست انتقاماً وإقصاءً للآخرين<sup>(١٤)</sup>، ولكن إيديولوجيا الكفاح تستغل التراث الإسلامي كحافز للتجيش

(١٣) فواز الطرابلسي، الديموقراطية ثورة، رياض الريس للكتاب والنشر

بيروت ٢٠١٢، ص، ١٧.

(١٤) فواز الطرابلسي، الديموقراطية ثورة، رياض الريس للكتاب والنشر

بيروت ٢٠١٢، ص، ٧٣.

السياسي، ضد الأنظمة أكثر مما تستغله كموضوع للبحث العلمي الفاعل التي تكشف الأخطاء والأبعاد الحقيقية بسبب الابتعاد الفعل الشعبي عن الطرح السياسي للأحزاب الإسلامية<sup>(١٥)</sup>، وهذا ما شهدته الثورات العربية الحالية كما كان الحال أيام المد القومي والناصرى وأيام الثورة الفلسطينية، وعودة بناء الدلائل والعلامات الثقافية "الإسلامية" مثل بناء المساجد والمعاهد والبنوك الإسلامية "والاحتفالات والشعائر والمواظم والمؤتمرات والتشريع"<sup>(١٦)</sup>.

### الجيش المصري في خدمة الشعب والثورة

الجيش المصري هو جيش وطني في تركيبته وعقيدته وغير موال لجبهة أو حزب وهو بعيد عن الانتماء الطائفي والسياسي والمذهبي كما هو حال الجيش في العديد من الدول العربية. منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ تصدر الجيش المصري المشهد السياسي ولم يبتعد عنه الا عام ٢٠١١ بكامل ارادته عند ما قرر الوقوف الى جانب الشعب المحتج ضد حكم نظام مبارك. منذ ثورة يناير الأولى عام ٢٠١١ اخذ الجيش المصري موقفا متميزا بوقوفه إلى جانب المتظاهرين منعا لإراقة الدماء، وهذا الموقف ساهم بإسقاط نظام الرئيس حسني مبارك بسرعة وأخذ الجيش على عاتقه إدارة البلاد من خلال مجلس عسكري ترأسه المشير حسين طنطاوي وزير الدفاع السابق، وساهم بالإشراف على الانتخابات البرلمانية والدستورية والرئاسية التي أوصلت مرسي وحزب الحرية والعدالة إلى السلطة. لكن الرئيس مرسي هو من قام بالضربة الوقائية التي وجهها الى قادة المجلس العسكري مستغلا حادثة الاعتداء على عناصر الجيش في سنياء عام ٢٠١٢ وأقصى الفريق سامي عنان قائد الأركان والمشير حسين طنطاوي وعين المشير عبد الفتاح السيسي وزيراً للدفاع محاولا وضع اليد على المؤسسة العسكرية وإبعادها عن المشهد السياسي كما فعل رئيس الوزراء التركي الطيب رجب اردوغان طول فترة وجوده في السلطة التركية، لكن الرئيس مرسي حاول إقصاء المؤسسة بأقل من سنة . وفي تصريح للفريق عبد الفتاح السيسي بتاريخ ٤ آب/أغسطس ٢٠١٣ يقول: "الرئيس مرسي لم يكن رئيسا للمصريين وإنما رئيسا لجماعة الإخوان المسلمين فالإخوان لهم مشكلة مع الدولة والانتماء للوطن وهذا ما جعلني أُنتمي إلى شرائح المجتمع الكبرى والعمل على عزل الرئيس مرسي". يحاول البعض تصوير الحدث المصري بأنه انقلاب عسكري قام من خلال خريطة الطريق الذي طرحها الفريق عبد الفتاح السيسي والذي انقلب على الرئيس الذي وضعه في هذا المنصب، ويتناسى الجميع بأن الجيش حاول إنقاذ مصر من خلال عملية وطنية أخذاً على عاتقه الوقوف الى جانب الشعب المحتج على سياسة الرئيس المعزول حقنا لدماء الشعب المصري رافضا التفرج على حدوث حرب أهلية تدميرية<sup>(١٦)</sup>، بالرغم من تناسي كل الذي

(١٥) السيد صدر الدين القبانجي، عالم السياسة تجديد من وجهة نظر إسلامية، الشركة العالمية للكتاب، لبنان ١٩٩٧، ص، ٨٢ - ٨٦.  
(١٦) المصدر نفسه، ص، ٧ - ١١.



يحاولون تصوير المشهد على انه اغتصاب للسلطة متجاهلين الحشود والمطالب التي رفعها المتظاهرون والمحتجون في ٣٠ يونيو ٢٠١٣، من خلال مطالب عديدة. فالجيش رفض استخدام العنف وطلب من الرئيس تغيير موقفه لكي يكون الرئيس هو من يدير العملية الانتقالية، فكان الرفض، فالجيش تسلم بخارطة الطريق التي رفعها المتظاهرون مدعومة من الشعب والكنيسة والقضاء والازهر والقوى الشبابية الثورية ليسلم السلطة إلى القضاء ويتم انتخاب حكومة مؤقتة بالرغم من دعوته للإخوان المشاركة وعدم إقصاء أنفسهم لكن مطالبهم وشروطهم تعجزية. إن المهمة الكبيرة التي أخذها الجيش على عاتقه هي مهمة وطنية بامتياز والإخوان يدركون ذلك لأنهم كانوا يدافعون عنه في البداية وخاصة في حوادث ساحة محمد محمود مع القوى الثورية التي كانت تطالبه بالانسحاب من العملية السياسية. فالجيش قد حمى البلاد من حرب أهلية وانهايار للدولة ومؤسساتها بفعل تصرف الإخوان الانتقالي، فهو الأمين على مصر وشعبها ومؤسساتها(١٧).

### الشعب يفوض السيسي بالدفاع عن مصر

لقد طلب عبد الفتاح السيسي من الجماهير المصرية الاحتشاد والتظاهر في ٢٦ يونيو "تموز" ٢٠١٣ والتي نزلت تحت شعار جمعة "التفويض للجيش في مكافحة الإرهاب"(١٨). كان قرارا شجاعا من السيسي بالرغم من كونه يحتمل الدخول إلى القصر أو إلى القبر لأنه اعتبر بأنه يمتلك الجيش ومن الضروري ان يمتلك الجيش في خطواته القادمة. فهو المعروف وسط الشعب وصاحب الثقة وليس رئيس البلاد عدلي منصور أو رئيس حكومته حازم الببلاوي. نجح السيسي من جديد في التفويض الشعبي الذي خرج لتلبية دعوته، وافشل مخطط الإخوان في تقويض الدولة وشل مؤسساتها وتعطيل صورتها الخارجية من خلال إعطائه صورة للعالم بأن الشعب من يمارس الديمقراطية و سلطة الجيش تقمع وتعاقب على ممارسة الحرية والديموقراطية.

### شرعية الشارع

الشارع المصري لم يهدأ أبدا طوال عامين ونصف العام من عمر الثورة المصرية التي أطاحت بنظام حسني مبارك في ١١ شباط/فبراير ٢٠١١، فالشارع أطاح بنظام مبارك من خلال حركة الاحتجاجات التي قام بها، والإخوان والأحزاب الإسلامية لم يأخذوا العبرة من الدرس، فالعجيب أن يتناولوا في خطابهم التمسك بالشرعية الدستورية والحماية بالصناديق الانتخابية التي أوصلتهم إلى السلطة، فالديموقراطية ليست صناديق فقط، وإنما ممارسة، فالرئيس مرسي في خطابه في ٢٦ يونيو ٢٠١٣ اقر بالأخطاء ولكنه لم يستغل الحدث والعمل الفوري على التغيير. فالمشكلة لدى الإخوان أنهم حاولوا إن يرثوا

(١٧) ايمانول تود، ما بعد

الإمبراطورية دراسة في

تفكيك النظام الأميري،

ترجمة محمد زكريا

إسماعيل، دار الساقية

بيروت، ٢٠٠٤، ص، ٤٧ -

٤٩.

(١٨) عريب الرنتاوي،

السيسي في جمعه ...

القصر أو القبر، جريدة

الدستور الأردنية، ٢٦ يوليو

تموز، ٢٠١٣.

نظام مبارك بكل إشكالياته واقامة نظام دكتاتوري من خلال مفهوم قائم لديهم بان الشعب أعطاهم التفويض والذي كان الهدف الأساسي ممارسة الإبعاد والاقصاء للقوى الأخرى التي كانت شريكة في الثورة وتحديدًا عنصر الشباب. فكل الشعارات التي رفعت في الساحات كانت مطالب حياتية واجتماعية.

إن معالجة الرؤية الأخلاقية والسياسية للإسلام اليوم تمثل مهمة شديدة الصعوبة، لأنها تفترض القيام بعدة تحديات أولية عن مكانة علم الأخلاق وعلم السياسة في الفكر الإسلامي منذ أصوله الأولى. فالمسلمون السياسيون يعتقدون بأنهم المخلصون في تطبيق الشرعية الإسلامية ويملكون القدرة على إطاعة أوامر الله دون غيرهم". مسألة الشورى في الإسلام في بقاء المجتمع لأن السيادة العليا في الدولة الإسلامية تنتمي لله فقط، وهذا يعني لا يوجد للإسلام السياسي ثقافة تقوم على تداول السلطة، وإنما الإصرار على سياسة مفهوم إقامة الخلافة. الديمقراطية إذن هي طريق فقط للسلطة وليست ممارسة حقيقية كما تفرض شروطها الديمقراطية.

### المشاكل التي تعاني منها مصر حالياً

تعتبر المشكلة الداخلية المتعلقة بالسير في خارطة الطريق من أجل الانتقال السلمي والديموقراطي للسلطة هي الأهم لمستقبل مصر والمتعلقة في "كتابة دستور جديد بأسرع وقت وإجراء انتخابات رئاسية وبرلمانية وشورى من أجل تأليف وزارة لأن الأعباء كثيرة على عاتق الحكومة القادمة. لكن بظل السير بهذه الخارطة التي رسمتها جماهير ٣٠ يوليو لابد من التوقف أمام أربع مشاكل أساسية:

**سياسياً:** تكمن في إيجاد مخرج سياسي يؤمن المشاركة الفعلية لكافة الشرائح والمكونات السياسية والاجتماعية المصرية بما فيها حركة الإخوان والقوى الإسلامية الأخرى لأنها جزء من هذه العملية الديمقراطية التي تنتظرها لكي تنهي هذا الصراع المنتشر في الشارع ونقله إلى قبة البرلمان والمجالس الحكومية المختصة والتي تؤدي إلى سحب الجيش من التجاذب السياسي والعملية السياسية، والتفرغ إلى ضبط الأمن على الحدود وعدم انتشار مرض الإرهاب مجدداً في مناطق مصر<sup>(١٩)</sup>. لكن لا أحد يعرف كيف ستتجه التطورات بعد حظر حركة الإخوان المسلمين في مطلع تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٣.

**اقتصادياً:** على قوى السلطة المنتخبة تأمين الأمن من أجل جلب استثمارات خارجية ومساعدات تساعد الاقتصاد المصري على النهوض من الأزمات التي يعاني منها بسبب التوتر السياسي وتوقف الإنتاج الصناعي والسياحي وهروب الرأسمال المصري والأجنبي من البلاد بسبب تقاعس الدولة عن وظيفتها.

**دبلوماسياً:** تفعيل دور مصر كقوة إقليمية ودولة محورية في وسط الدول العربية ومنطقة

(١٩) طارق الحميد  
السيناريو السوري في  
مصر، جريدة الشرق  
الأوسط اللندنية، ١٨ يوليو  
٢٠١٣ العدد ١٢٦٥١

الشرق الأوسط والعالم الإسلامي وفي إفريقيا من خلال مشروع محوري بالتعاون مع دول الخليج وفي مقدمتهم المملكة العربية السعودية، لطرح مشروع عربي سياسي كامل تأخذ مصر فيه دورها الريادي، بعد غياب وتغييب دام لعقود وفي مقدمته القضية الفلسطينية والمشكلة السورية والمشاكل الأخرى التي تعاني منها اغلب الدول العربية وخاصة بظل الاحتقان المذهبي.

**أمّنيا:** مصر تعاني من حالة فوضى أمنية وخاصة بعد سيطرة الإخوان المسلمين على الحكم وتحالفها مع الأحزاب الإسلامية والتي نقلت نشاطها إلى مصر وتحديدا إلى منطقة سيناء والدخول في مواجهه عسكرية مع الجيش وتعرض مواقعه إلى هجمات مستمرة وسقوط العديد من الشهداء العسكريين، مما دفع بوزارة الداخلية بفرض قيود شديدة على الداخلين إلى مصر من دول كاليمن وليبيا وباكستان وأفغانستان وتركيا وأقرت وزارة الداخلية المصرية بوجود ٤٠٠٠ مقاتل من الحركات الإسلامية التي بلغ تعدادها ١٥ حزبا وحركة بما فيهم تنظيم القاعدة وجيش المجاهدين<sup>(٢٠)</sup>.

أمام هذه المشاكل على الحكومة الحالية التي أخذت صلاحيات أوسع أن تعمل على إيجاد حلول للمشاكل الخارجية وخاصة بعد تغير المواقف الدولية من الثورة الحالية.

### الخاتمة والاستنتاجات

وفي عملنا هذا الذي نضعه بين أيديكم لابد من القول الصريح بأن مظاهرات ٣٠ يونيو وضعت نهاية حزينة لحركة الإخوان المسلمين السياسية في العالم وليس في مصر، وهذا ما حدث في العام ١٩٩١ مع الفكر الشيوعي الذي قضت عليه ثورة شعوب أوروبا الشرقية والتي أدت الى انهيار المعسكر الشيوعي بالرغم من بقاء بعض الأحزاب الشيوعية والمناصرين لها في العالم<sup>(٢١)</sup>.

نحن اليوم أمام حقيقة فعلية هي فشل الفكر الإخواني وسقوطه السريع بعد تجربة لحركة عمرها أكثر من ثمانين عام، وقيادتها للسلطة لعام بظل سيطرة أفكار السيد قطب المتشددة على قيادة الحركة مما وضعها في صدام مع كافة شرائح المجتمع المصري.

فكما كانت ثورة مصر شعلة نور للثورات والشعوب العربية، فإن انهيار الفكر الإخواني في مصر الذي يتدحرج ككرة في دول الربيع العربي والذي سوف يسمح فعليا بسير حركة التغيير المتجمدة، فهذه تونس تنتفض على النهضة وتعطيها مهلا وليبيا أيضا، وبل تعدى ذلك إلى ثورة سورية التي أخذت تخلع عنها الصبغة واللون والطابع السلفي، وهذه بوادر الخلاف تخرج إلى العلن بين جبهة النصرة الدخيلة وقوى المعارضة السورية. فإننا نلاحظ بأن الإرادة السياسية لقادة الإخوان معدومة لدى الكثير من البلدان العربية في استلهاً الإسلام الحقيقي الواسطي من أجل حل مشاكلها، أو علاقاتها على مستوى الدول.

(٢٠) ماجد عزام، ما الذي

يجري في سيناء، جريدة

المستقبل اللبنانية، ٢٥، اب،

٢٠١٣.

(٢١) أي اتش غومبريتش،

مختصر تاريخ العالم،

ترجمة د. ابتهاج الخطيب

عالم المعرفة، الكويت، عدد

٤٠٠، ايار/مايو 2013،

ص ١٥٩ - ١٦٦.

فهل أحزاب البلدان الإسلامية راغبة فعلاً في الاعتماد على الإسلام السياسي، والاستمرار بطرح شعار الإسلام هو الحل، بعد تجربة الإخوان الفاشلة (٢٢).

فهل الإسلاميون استطاعوا منذ وصولهم إلى السلطة من إنتاج برامج اقتصادية اجتماعية إنقاذية ليكون الإسلام السياسي قادراً على تقديم نفسه بديلاً وذا مصداقية يحل محل الإيديولوجيات الكبرى المعاصرة التي تتنافس على العالم. والمقصود البديل المرتكز على العدالة والتقدم الاقتصادي والحرية الحقيقية والديموقراطية المستندة إلى صيغة العيش المشترك، وعلى التفاهم والتعاون السليم بين الأمم والشعوب المختلفة، وبث روح الديموقراطية في العلاقات التي تربط بلادنا مع العالم بالإضافة إلى المساواة بين مختلف الأطراف واحترام الهوية الثقافية لكل الفئات والمكونات في بلادنا.

إن دواعي التاريخ العربي الإسلامي المعاصر المرتبط بالنهضة الحالية، لا بد له من إن ينتصر للعقل والموضوعية وعدم ربطه بالسلطة ومشاكلها. فالتجربة المصرية والاخوانية هي تجربة لا بد من الاستفادة واخذ العبر منها وهي مرحلة انتقالية لا داعي لأن تكون انتقامية (٢٣).

فالسؤال الحقيقي الذي يطرحه المراقبون والمحللون والمتابعون للشؤون المصرية يبقى رهن الأيام القادمة هو كيف ستستقر الأوضاع في مصر بعد ٣ تموز/يوليو ٢٠١٣.

فالجيش اخذ قراره التاريخي بعدم التدخل في الحياة السياسية، وسيرعى مرحلة انتقالية تتم إدارتها من قبل مجلس القضاء لبناء دولة قادمة من خلال مشاركة فعلية وفعالة.

وسوف يخرج الجيش المصري من الحياة السياسية كما وعد لأنه يعلم الظروف الحالية.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هل نحن ناهبون نحو الاستقرار، أم سندخل في فوضى

تؤدي إلى فشل فعلي للدولة ومؤسساتها وستكون مصر باكستان العرب؟ □

(٢٢) د. ورويك موراي،

جغرافيا العولمة قراءة في

تحديات العولمة الاقتصادية

والسياسية والثقافية،

ترجمة د. سعيد منقار

عالم المعرفة، الكويت، العدد

٢٩٧ فبراير، ٢٠١٣، ص

١٦٧ - ١٦٩.

(٢٣) السيد صدر الدين

القبانجي، عالم السياسة

تجديد من وجهة نظر

إسلامية، الشركة العالمية

للكتاب، لبنان ١٩٩٧، ص.

٨٢ - ٨٦.